وتعلموا منهم

لا تعطوا الأميركييت دروسأ

لا يوجد أسوأ من دونالد ترامب بالنسبة للعالم كله، لكن بالنسبة للناخب الأميركي

الأمر مختلف، فقد انتخبه وفضّله على هيلاري كلنتون، وقد يعيد انتخابه، لحساباتٍ

تخص هذا الناخب، والذي أتيح له الاستماع لحجج الطرفين ففي موضوع كورونا،

وهو الأهم، اتضح أن نسبَّة كبيرة تتفق مع ترامب بأن ضرر الإغَّلاق والتشدُّد على

الاقتصاد يفوق ضرر الفيروس، ولم تُصغ لرأى الأطباء والعلماء. وقد تنجح هذه

المجموعة الكبيرة في إعادة انتخاب ترمب الأميركي معني بالوظيفة والضرائب

بالدرجة الأولى، كما يبدو، وهو ما نجح ترامب فيه، سواء بجهوده وسياساته، أم بما

حصده من نجاحات حقبة أوباما الذي تمكّن من اجتياز الأزمة الاقتصادية بجدارة.

قد يخسر ترامب، بفارق بسيط، لكن هذا مجرد حظ، وليس لأن الأكثرية ترفض

سياساته، أو شخصه. حتى لو لم تكن الانتخابات على أساس نظام المجمع الانتخابي،

فإن الانقسام عميق في المجتمع الأميركي، وترامب يمثل القطب الجمهوري فيه. ليس

بسبب الاقتصاد فقط، وإنما بسبب الرؤية المحافظة للثقافة والمجتمع. صحيحٌ أن

سلوكه الشخصى غير محافظ، لكنه داعم للمحافظين والمتدينين، وتجلّي هذا في نائبه

ووزير خارجيته والقاضية التي اختارها للمحكمة العليا. هذه الانقسامات موجودة

في كل المجتمعات بأشكال مختَّلفة، والنظام الانتخابي يعبر عنها. المشكلة في ترامب

أنه يفتقر للنزاهة الشخصية، فهو إلى اليوم لم يكشفُّ عن سجله الضريبي، فضلاًّ

عن علاقاته المشبوهة بالروس. وهنا المشكلة ليست في النظام الانتخابي، وإنما في

المحقق الخاص الذي فشل في تقديم لائحةٍ تدينه. إضافة إلى الحصانة البالغة فيهاًّ

يكتفي العالم العربي بمقاعد الشجعين، بين من يؤيدون بايدن ومن يؤيدون ترامب،

والجمهور في النهاية لا يسجل أهدافاً، ولا يتدخل في اللعبة. أكثر من ذلك، يؤثر

الرئيس الأميركي على بلادنا أكثر من تأثيره على المواطن الأميركي، فموقف ترامب

المساند للدكتاتوريين العرب، سواء في دعم عبد الفتاح السيسي أم صناعة محمد

بن سلمان وحمايته، والدعم المطلق استياسات نتنياهو في تهويد القدس وتشجيع

الاستيطان وتدمير إمكانية إقامة دولة فلسطينية، يفوق تأثيره كثيراً على المواطنين

الأميركان الذين لا يملك أن يعتقل وإحداً منهم مهما هاجموه. المأمول أن يستفيد

الجمهور العربي من سهرته الطويلة مع الانتخابات الأميركية، بمعزل عن الفائز.

بدلاً من التشجيعات التي أطلقها مناصرو ترامب، عليهم أن يتعلموا منه كيف جاء

بأصوات الناخبين، واحتمل المرض وكبر السن ليجوب الولايات مستجدياً أصوات

الناخبين. لا يحتاج الأميركيون دروساً، وكل مواطن محصّن، مثله مثل الرئيس، ولم

يستطع ترامب، بكل إمكانات الرئاسة وهجومه القبيح، منع فوز ألد أعدائه، رشيدة

طليب التي وصفته في تغريدة منشورة لها بـ«الخراء»، وألهان عمر، وفازتا بجدارة.

لم يطبّل الإعلام لترامب. على العكس، انحاز، بمجمله، بشكل واضح، ضده، وقيّدت

منصة تويتر، وهي شركة أميركية، تغريداته التي ادّعي فيها الفوز. لقد بذلت النخبة

الأميركية جهداً ملحمياً في فضح أخطائه، سواء في الكتب أم المقالات أم البرامج

الساخرة والأفلام، لكنه تمكَّن من الوصول إلى الناخب، بحيث جعل من الصعب

هزيمته. بمعزل عن الفائز، لن يتدخل أقوى جيش في التاريخ. المسألة متروكة

للمدنيين ناخبين، وإذا اختلفوا، فالقضاء المدنى والمؤسسات الولائية تفصل بينهم،

في وقت يزداد فيه فيروس كورونا تفشيا في مختلف أنحاء العالم، تجد الحكومات

نفُّسها أمام تحدّبات سياسية وإجتماعية عُير مسيوقة، فإضافة إلى التبعات

الاقتصادية والاجتماعية للجائحة، تتسع قاعدة المتبنين نظرية المؤامرة بشأن

ظهور الفيروس وانتشاره. ويؤكد ذلك ما ينبئنا به تاريخ الأوبئة والجوائح بشأن

للرئيس في الدستور الأميركي، والصلاحيات الواسعة له.

## المعارضة المصرية وخروف ممدوح حمزة

لا أعرف لماذا تذكّرت خروف (الناشط)، ممدوح حمزة، بعد الحكم عليه بستة شهور سجنا. هل لأنه كان الأقل كراهية للإخوان المسلمين، وأكثرهم خفة في الدم خلال سنة حكمهم؟ وذلك حينما دخل الأستديو على المثل، هاني رمزي، وفي يده ذلك الخروف الأملح (نكاية في الإخوان بالطبع وسخرية من حكمهم في عز سطوتهم). وبالطبع، خرج الممثل هاني رمزي بعد ذلك من الأستديو، من دون أنّ تعترض طريقه نملة، وخرج المهندس ممدوح حمزة كذلك، وعلى الجهة المقابلة الأراجوز (باسم يوسف)، حيث الضحك للركب وإلى ما فوقها، من دون أيضا أن يناله أي أذي خلال سنة كاملة. من ذلك الذي قاد طبيبا حصل على الدكتوراه في الطب، ثم هجره إلى تسبيل الرموش والمؤخرة وترقيصهما على رئيس منتخب من الشعب؟ وما الذي جعل ممثلا، كهاني رمزي، له جمهوره وأفلامه، يتفرّغ سنة لإسكتشات هزلية، مرةً بخروف ومرة بأنبوبة بوتاغاز؟ وما الذي جعل من معماري ومهندس إنشاءات عالم، وعالم في الطبقات وهندستها البنائية، يترك ذلك كله، ويتفرّغ لشراء خروف

من السوق، ثم يتوجه به إلى الأستديو مربوطا بحبل؟ كل هذه الأسئلة حضرتني، حينما تذكرت المعارضة المصرية، وسألت عنها الجيران، فلم يجبني أي أحد. فأين ذهبت الآن المعارضة؟ أين حرب الوفد (مكان اجتماع المعارضة ضد الإخوان ليل نهار خلال سنة)، بعدما تم تقسيمه ما بين «أبو شقة» وخصومه، أو بالأصح، بيعه، أخيرا، للحكومة، ثم تعيين أبو شقة (هدية على تخريبه بيت الأمة) عضوا في البرلمان والشيوخ معا (أبو هدية للسلطة، له منها هديتان ونص). وأين حسين عبد الغني، المتحدّث الرسمي والإعلامي عن المعارضة (بالعربي)؟ لا أحد يعرف. وأين المتحدث عن المعارضة بالنسخة الإنجليزي، خالد داود؟ في السبجن. وأين كمال أبو عيطة (بعد ستة شهور وزارة ومطعم كبابٌ وكفتة لأولاده؟)؟ ذهب مباشرة إلى أميركا، رافعا علما ومرتديا برنيطة بجوار يسرا وياسمين الخيام لاستقبال عبد الفتاح السيسى، تاركا صديقه، كمال خليل، للسجن مرات. وأين شباب الناصريين، مثل زياد العليمي وغيره؟ في السجون. أما حمدين صباحي فما زال مع السمك وفنجان القهوة، منتظراً عروقا عربية تنفر مرة واحدة من أعناق الثلاثمائة مليون عربي. هذا الحال أحيانا يجعل الواحد يحزن، وأحيانا يندهش. هل كنا في مصر نعيش كذبة اسمها معارضة، وقفت باقتدار كثورة مضادّة ضد الثورة، فأنهتّ الثورة تماما، وأعادوا البلد ثانية إلى حجر من قامت ضدهم الثورة، وأنه «لعمل نبيل في وساخته» بالطبع، نال بعده رئيس حزب التجمع مقعدا (بقرار جمهوري) في البرلمان. وبعدما انتهى البرلمان نال مقعدا ثانيا، وبقرار جمهوري أيضا، في مجلس الشيوخ (كتوزيع حلاوة المولد على المساكين والأيتام تتم المسالة)، فيصمت اليسار (بعد التعيين المبارك)، ويعود الهدوء إلى حزب الوفد بعد التخريب، وتتكفل مستشفيات القوات المسلحة بعلاج كبار السن من الموتى (الوطنيين جدا) وتكفينهم، إثر السكتات وتأثير الدخان والبلغم، مع لفهم بعلم مصر. وعلى الجهة المقابلة، يموت «الإخوان» في السجون، في رجولةٍ أثارت حتى ثناءً من الخصوم، وكأنهم خُلقوا لتحمل مصائبهم وحدهم، وتدور الأيام دورتها أيضا، ولم لا، فيدخل المثل هاني رمزي سوق السينما بفيلمه «قسطي بيوجعني» في 2018، فلا يحصل فيلمه إلا على 34 ألف جنيه، ويُرفع من السينمات لتحل محله أفلام قديمة أنتجت وعرضت من سنوات. ولا شفع له إسكتش ولا برنامج ولا خروف ولا أنبوبة بوتاغاز ولا حتى كلب. ويحصل أخيرا المهندس ممدوح حمزة، قبل أيام، على حكم قضائي بالسجن ستة شهور. ويرحل الأراجوز (باسم يوسف) إلى أميركا هذه المرّة، لا ليدخُّل غرفة العمليات، أو يعود إلى الطب الذي هرب منه، ولكن لكي يتكلم في حبة البركة وزيت الزيتون، وذيل العجل البتلو حينما يتم شواؤه على الفحم في الخلاء بعد

# مي بوس

ثبعيا مثقفا ومتعلما».

ـم يكن هـذا التصريح عرضيا، وإنما فإن الرأي العام التونسي لم يكن ينتظر القمع والاستبداد التي عاشتها تونس، وهـوً أمـر كشفت عنـه دراســات علميـة،

# عبد الحكيم حيدر

# التتبيلة، وللناس في نهايتها حكم، وعلّه عقاب.

يكشف عن طبيعة الرؤية الفرنسية

## تحدّث الرئيس الفرنسي ماكرون، بعد حادثة قتل شاب مسلم مدرسا فرنسيا للتاريخ، في 16 الشهر الْماضي (أكتوبر/ُ

# المشهد الفرنسي

نحدّث الرئيس الفرنسي، ماكرون، يوم 8 لشهر الماضي (أكتوبر/ تشرين الثاني) فَى خطابه الذي مثّل إشارة انطلاق الأزمّة أخْيرا في فرنساً عمّا سُمّاها أزمة الاسلام، غير انَّةً لم يفوّت الفرصة ليتحدُّث عزُّ تونس بوصفها نموذحا للازمة، وقال إن وضعية الإسلام في تونس «كانت أفضل فبل 30 سنة»، وأنّ «نظرة التونسيين إلى الإسلام وطرق فهمه وتطبيقه كانت قبل 30 سنة مغايرة جذريا لما هي عليه اليوم، على الرغم من أن التونسيين يُعتبرون

مثل المؤشّر العربي (2019/ 2020) الذي

يجريه المركز العربى للأبحاث ودراسة

السماسات، وقد كشف عن حالة من التراجع القوى للتعاطف مع التنظيمات المتطرّفة لدى الرأى العام التونسي.

الحقيقة أن النُظّام الرسمي الفّرنسي لا يخفي رغبته في التعامل مع أنظمة ستىدادىة قوية، تُحكم بيد من حديد، وتحقق للشريك الفرنسي جملة من الفوائد، أولها ضمان المصالَّح الفرنسية في مقابل منح الشرعية للحاكم، كما كان بحصل زمن زين العايدين بن على. والأمر الثانى ضبط حركة الهجرة سأن ضفتى المتوسط، وهو أمر يقلق فرنسا التى ترى فى تدفق المهاجرين تهديدا بنبتها الثقافية والسياسية إلى الحد

للوضع الحالي في تونس، والقلق الفرنسي الرسمي من الانتقال الديمقراطي التونسي، لأن تفكيك خطاب ماكرونّ، وتحديدا ما تعلّق منه بتونس يكشف جملة من المغالطات، أولها أن تونس، قبل للاثين سنة، وخلافا لما يتصوره ماكرون، كانت تشهد مدّا أصوليا عارما وصعودا لقوى الإسلامية في المجتمع، لا نجده اليوم، بل وقد لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن لتيارات الإسلامية في تونس قد تراجعت، ى ظل المشهد الديمقراطي الحالي، على لأقل من خلال مؤشرين واضَّحين، أولهما ن قوى الإسلام السياسي أصبحت حَرْءًا من اللعبة الديمقراطيّة، وتخلت عن خطاباتها الشمولية، وعن دعواتها لى أسلمة المجتمع. ومن ناحية أخرى، صبحت هذه الأحراب أقرب إلى النموذج الديمقراطي المسيحي منها إلَى الحركات الإسلامية بصيغتها التقليدية (على لأَقل في ما يتعلق بحركة النهضة). أما ذا كان ماكرون يقصد الإسلام المجتمعي ى تونس، فإن الوقائع تكذُّب فكرته عنّ غُيّر رؤية التونسيين إلى الإسلام، فحالة الانفتاح الفكري والثقافي التونسي ما زالت هي ذاتها، ولا يمكن تعميم الحكم على المجتمع بالتطرّف، لمجرّد ظهور أعداد من المنتمين إلى جماعات العنف الدين في الخارج، وهم في الواقع نتاج مرحلةً

الذي دفع وزيرا فرنسيا إلى الحديث عن وجود أجنحة مخصصة لمنتجات الحلال بي المحلات التجارية الفرنسية. كانت الأحداث المتسارعة، بداية من تصريحات ماكرون، ومرورا بحوادث القتل في فرنسا، ووصولا إلى دعوات مقاطعة المضائع الفرنسية، موضوع جدل في الشارع التونسي، وسجلت حضورها في أجهزة الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، ميث تجلت من جديد ملامح الصراع بين الأقلية الفرانكفونية في تونس وبين الجمهور العام، فالأحزات والجمعيات ذات التوجهات الفرانكفونية لم تفوّت الفرصة لاستغلال ما جرى في فرنسا من أحداث إرهابية، تم نسبة أحدها إلى مواطن تونسي، من أجل التعبير عن تأييدها الخط الفرنسي المتشدد ضد مظاهر التدين الإسلامي، بُل ولجأت إلى المبالغة في جلد الهوية العربية الإسلامية، واستغلال الفرصة لتصفية الحساب لسياسي مع القوى المحسوبة على التوجهات الدينية. في المقابل. وعلى الرغم من الصمت التام لدى الأحزاب التونسية التى اكتفى بعضها بإدانة حرائم الأرهات في فرنسا، من دون الإشبارة إلى مسألة الإساءة للمشاعر الدينية للمسلمين،

تحفيزا من الأحراب، تيتخذ مواقف

معادية للتوجهات الفرنسية. في المقابل،

ظلت القنوات الرسمية التونسية حريصة

على التناغم مع المواقف الفرنسية، وهو ما

تجلَّى في بيان الخارجية التونسية التي دانت الإرهاب الذي ضرب فرنسا.

أنه على رأس دولة ديمقراطية علمانيآ والكتَّاب، على شاكلة إريك زيمور وميشال تحترم كل الديانات التي اختار مواطنوها اعتناقها. وقد حاول أن يُبْرز، بطريقةٍ قطعيةٍ، أن ما وقع يرتبط بالوضع المأزوم لـلإسـلام الـيـوم فَـي الـعـالـم، كمـاً يرتبطُ واَسيا وأوروبا. ومقابل مواقف من أُشير بالجمود الذى تعرفه المجتمعات الاسلامية والمجموعات المسلمة داخل فرنسا وتضمن خطابه الملامح الكبرى للخطة مواقف عنصرية، تتخيَّل أن المسلمين التى ستواجه بها الحكومة الفرنسية يتهيأون لبناء قيم ونظام سياسم مَن أَطْلَق عليهم المجموعات الانعزالية مغاير لقيم الجمهورية الفرنسية، فتخرج وشخصهم في مجموعات الاسلام الذئاب المنفردة الأخرى متحمسة لدولة المتطرّف الذي يستهدف قيم الحمهورية، الخلافة الإسلامية القادمة، فتصبح ويعمل على إقَّامة نظام مواز لُها، معلناً أنه معرفة سياقاتها ومستباتها والقائمين بصدد التفكير في إعداد خطةٍ استراتيجيةٍ لمحاصرة هذه المجموعات. على ضبط إيقاعها وخلفياتها.. يتعلق استعاد ماكرون، في خطابه المتِسرع الأمر بتيارات الإسلام الرديكالي وتيارات اليمين المتطرّف والمُتَصَهْين، اليمين والانفعالى، مواقف وأحكاما يتغنّى بهاً الذي يحمي إسرائيل، ويحتفلُّ بالخَّططُ اليمين القرنسى المتطرّف منذ عقود، الأميركية والغربية التي تجري أمامه، وتتغنّى بها، بصيغ مختلفة ومتكاملة الذئاب المنفردة التي تملأ قنوات الإعلام من أجل مزيد من تفكيك النظام العربي،

ورطة ماكرون

تشرين الأولّ)، بلغة لا علاقة لهاّ بالحادثة

المؤسفة وسياقاتها. ونقل الموضوع من

مجال الصراع الإيديولوجي القائم في

المُجتمع الفرنسي إلى مستوى آخر. كانَّ يتحدّث متقمصاً شخصية المفكر، ونَسِيَ

عماد حجاج

الخَل أخوالخردَل همعيح .. لكن

برهنه: الخُل السامي أفضل شوية!

الجزائر ودستور الأصر الواقع

سجل الاستفتاء على الدستور في الجزائر،

والـذي أجـري فـي 1 نـوفمبـر/ تشرين

الثاني الحالي، أدنني نسبة تصويت في

تاريخ الانتخابات منذ استقلال الجزائر

في 1962، فكل الأحراب الموالية للنظام

والمُساندة له، وكل الجمعيات المدنية التي

تَرْكُيها السلطة، وبمرافقة كل الوسائلُ

الأعلامية الحكومية والخاصة، التقليدية

منها والحديثة، التي جُندت لهذا الموعد

الاستفتائي، لم تتمكّن من حشد ربع

المنتخبين المسجلين، حيث يلغت نسد

التصويت 23,8% فقط. ويؤشِّر ارتفاع

نسبة المقاطعة إلى 76,2%، بشكل وإضح

للعيان، إلى أن الجزائر تغيرت، وتغيرت

كثيرا، ليس في الاتجاه الـذي تقوله

رئاسة الجمهورية، في بيان لها، عقب

صدور النتائج باعتبارها «النتائج التي

أعلنت عنها السلطة الوطنية المستقلأ

للانتخابات بمثابة التعبير الحقيقي

والكامل لما كان يريده الشُعب». كازَّ

بإمكان ذلك أن يتحقق، لو كانت النسب

معكوسة، لو كانت نسبة المقاطعة هم

نسبة المشاركة. أما وأن الأمر برمته ا

يتمخض إلا عن مشاركة 5,5 ملايين

مصوّت، من مجموع 23,5 مليون ناخب

مسجلين في اللائحة الوطنية للناخبين،

وبتراجع قدره ثلاثة ملايين ناخب،

مُقارِنةً مُع آخر انتخابات أُجُريت في

البلاد (الرئّاسية) في ديسمبر/ كانونّ

الأول الماضي، فإن أستله ملحّة تصعد

إلى ركح (مشرح) السياسة في الجزائر،

لُتِينَ عَنِ أَرْمِةً حَقِيقِيةً فِي جَسِّمِ الدولة

الجزائرية، على أهل الحكم فهم مغزاها

ومعناها، وتدارك أمرها حتى لا ينفرط

العقد الاجتماعي الذي لم يعد يربط

بين مؤسسات الدوّلة وعموم الشعب، إلا

أُظهرت الأنتخابات أخيرا عن أزمات

متعدّدة، ومختلفة، ترقى إلى طرح سؤال

شرعية الدستور بإلحاح. لم تتعوّد

بخيط رفيع لا يكاد يتماسك.

السلطة في الجزائر على طرح الأسئلة الصعبة والحقيقية، كانت تتجاوز

الأزمات دائما بفرض أمر الواقع، وهو ما

بحسّده التعامل حاليا مع الدستور الذي

ستفتى فيه الشعب، وغاب جله عن إبداء

رأبه فيه. لا تخطئ العن حالة الاستعلاء

التي يمارسها بعضهم من المقرّبين من

سدة الحكم وزيرة التضامن كوثر كريكو،

وفى فيديو انتشر على مواقع الأخبار،

رفضت أخـذ ورقـة «لا» واكتـفّت بـورقـة

«نعم» قبل الإدلاء بصوتها في التعديل

الدستوري، على الرغم من تنبيه إحدى

المشرفات على مكتب الانتخاب بضرورة

أخذ الورقتين معا، واختيار ما تراه في

سرّية تامة. لكن الوزيرة تجاهلت التنبية

وأمعنت في التباهي بنعم، ولسان حالها

يقول، أن لا خدار إلا ما تقوله السلطة، أه

هكذا فسّر متابعون ذلك التصرّف. بعتقد

كثيرون أن سلوك وزيرة التضامّن لم

يكن فرديا، فالسيدة التي كانت عضوا

سابقا في السلطة الوطنية المستقلة

للانتخابات، أصبحت عضوا في حكومة

لقد تحوّلت حالة العزوف عن المشاركة

في الانتخابات من ظاهرةِ كانت تخص

أقاليم معينة إلى مناطق أخرى كانت،

إلى وقت قريب، تعتبر خزانا انتخابيا

لم يتأخر عن كل المواعيد الانتخابية

السَّابقة. قراءة بسيطة في النتائج تحمل

دلالاتٍ ذات مغزى، فمنَّطقة القدائل،

وخصوصا ولايتي تيزي وزو وبجاية،

من 1%. معناه بيساطة أن جهة كاملة

من الوطن كانت غائبة عن الاستفتاء.

تعدّدت الأسساب، والمبرّرات، والنتيجة

واحدة. غياب كلي أو يكاد من المشاركة

في العملية السياسية الحالية. غياب

يحيل إلى التساؤل عن المستقبل الذي

: يمكن تجاهله، فعواقب الفراغ كارثية،

خصوصا إذا ما استغلته أوساط غير

وطنية، بمساعدة مؤسسات أجنبية

لا تكترث لوحدة الوطن ولا لسؤدده.

كثرت «هفوات» وزرائها.

کاریکاتیر

باعتبار أنه يغذى تيارات التطرّف الفرنسي، مُطالبةُ بطرد العرب والأفارقة والمسلمين من فرنسا، وسحب حنسباتهم عندما تواصل الذئاب المنفردة حضورها وبطاقات إقامتهم استعمل ماكرون أبشع الخطابات العنصرية المستفزّة. وتضمّر خطابه كثِيراً من دعـاوى الإسلاموفوبيـا التي تُشخُّصُها هذيانات اليمين الفرنسي والأوروبي، وقد ازدادت هذه المواقف اتساعاً بعد فشل السياسات الغربية فم دمج الجيلين، الثالث والرابع، من أبناءً المهاجرين المُسْتَقْدَمِينَ من المستعمرات الفرنسدة. تساهم محموعة من الإعلاميين ويلبك، وكذا بعض رسامى الكاريكاتور فى نشر وتعميم خطابات ورسوم تستفز مشَّاعر المُسلميَّنُ في فرنساً وفي أفريقيا إلى بعضهم هنا ورسوماتهم، وفي أغلبها ملامح المواجهة واضحة المعالم، بمكن

أسلحة اليمين المتطرّف وشعاراته.

في قنوات الإعلام الفرنسية، مطالبة بفرَّنسا النصرُانية اليهودية العلمانية في نقائها المتخيّل والمأمول، تنتج خطابات الكراهية والعنصرية باسمقيم الجمهورية والتنوير والتسامح. وعندما يُوَظُّف الإسلام المتطرّف لمواجّهة العنصرية، ويمارس القتل بالبسملة والسيف، يبتعد كُلَّمة عن قيم الإسلام، فلا علاقة لدرس فى حرية التعبير برسوم أعدّت أساسا للإساءة إلى النبي العربي، ذلك أن رسالته وقُيمه تُحتاج إلى نقاش آخر، يفكر في الدين في العالم اليوم، نقاش يشمر المسيحية واليهودية ومختلف الجوانب والأبعاد الروحية التي ما فتئت تغذّي الوجدان الإنساني هنا وهناك. أما خطابً ماكرون، فقد أعادنا إلى صراع لا علاقة له في العمق، لا برسالة الاسالام وقدمه، ولا بمكاسب الفكر الحديث والمعاصر ومنجزاتهما لقد انخرط في الاستعداد للانتخابات الرئاسية المقيلة، مستخدماً

لمتنته معارك العرب مع الغرب الأوروبي، وبينهما تاريخ متجدّد ومتواصل من المنازلات التي تتخذ مظاهر وتجليات تُقَنِّعُ أحياناً صوَّر الصراع، وتدفعها إلى التمظهر في أشكال تُخفي سياقاتها وأسبابها الفعلية، وتُلبسها معطياتٍ

لم تفهم أحزات

السلطة، ومن في

فلكها، أن الجزائر

بعد الحراك لم تعد

الجديد أن مناطق الجنوب، والتي كانت،

إلى وقت قريب، ورقة السلطة الانتخابية

ستعملها لأمالة الكفة لصالحها. لم

تعد كذلك منذ مدة. انتبه السكان إلى

ن جنوبهم الزاخر بالنفط والثروات

المعدنية والزراعية يرغب في مزيد من

الاهتمام، والمشاركة في تسيير شؤون

الوطن. ذهب زمن «الغفلة»، يقول سكان

المنطقة ومناطق داخلية أخرى. لم تأت

صداغة الدستور الجديد على ما يؤمنون

به من ثوابت، لا تحيد عنها الأمة. عاقبوه

بالمقاطعة. وهذه أصبحت تشكل حزب

الأكثرية غير المهيكل. أما أحزاب السلطة

فلم تتوارعن الأنظار، على الرغم مما

طالها من خيباتٍ متكرّرة، سندها في ذلك

مؤسسات السلطة التي ما زالت تطمع في

لم تَفْهم أحزاب السلطة، ومن يدور في

فلكها، أن الجرائر ما بعد الحراك لم تعد

هي نفسها قبل الحراك، ففي النهر جرت

مياه كثيرة لمتعد خطابات اللغة المخشدة

صالحةً في زمن اطلع فيه الشيباب على

حال الأمم الأخرى، فوجد نفسه متخلفا

عن ركب الأمم، في بلدٍ أنهكه الفساد، فساد

حلیب سیاسی جف ضرعه.

السياسة، وحرمةً المال العام.

نفسها قىلە

عندما يُوَظَّف الإسلام المتطرّف لمواحهة العنصرية، ويمارس القتك بالبسملة والسيف، يبتعد عن قيم الإسلام

تمنحها مقتضيات الدراما الصانعة للفواجع والجرائم البشعة، والصانعة لمظاهر التعالى والعنصرية في أجلى

66

يعاد التلويح بالصور الكاريكاتورية لحرية التعبير، أياماً قبل احتفالاتً العرب والمسلمين تعيد المولد النبوي، ويقوم التلميذ يجريمة قتل أستاذه، إلا أنه يجب ألا نغفل أن أجواء الإعلام الفرنسي لا تتوقف عن توظيف خطابات

عنصرية معادية لأجيال من الفرنسين، ستقدمتهم فرنسا منً مستعمراتها للمشاركة في بنائها، وجنّدتهم ف حروبها، ولم تُتَمكّن، بسبب سياساتها العنصرية، من تهيئة الوسائل التي تسهِّل عمليات اندماجهم في المجتمع. ذلك أن سياسة العزل في الأحياء الهامشية ف الوسط المديني، وهي جزء من المخططات لتى نهجتها، أثمرت ما آلت إليه أوضاع لمجموعات المسلمة وباقى الأقليات التي تعيش اليوم أوضاعاً خاصة في فرنسا. جريمة قتل المدرس والصور المهينة لنبى الإسلام، والذئاب التي لا تتوقف في الإعلام الفرنسى عن المطالبة بإغلاق الحدود وطرد المهاجريَّن، تُعَدُّ سياقاتٍ مرتبطةٍ بالدراما التى ترتُّب عنها قتل المدرس وقتل من قتله ولكن حقيقة ما جرى ويجري منذ عقود، بأسماء وصور وحوادث عديدة، يشير

إلى أمور أخرى أكثر تاريخية وأكثر عمقاً. ترتبط صورة ما جرى بالظاهر من جبل الجليد، لكن الأرض التي ينتصب فوقها الجبل تحمل مختلف الشروط التي هيأت ورتبت للوقائع الحاصلة. ستحضرت بشكل خاطِف، وأنا أتابع خطاب ماكرون ثلاثة مواقف: خطاب ميشيل عفلق وعنوانه ذكرى الرسول العربي، وفيه يتحدّث عن «بطل العروبة

والإسلّام»، ويبرز إنسانية رسالة الإسلام.

موقف نابليون بونابارت في أثناء حملته

على مصر منذ أزيد من قرنين، حيث

ذكرت ومواقف ماكرون.

بادر، وهو الفاتح المستكشف والغازى، إلى جمع لوحاتٍ كتبت عليها أياتُ قُراَنْيَةَ فَرَّكَبُ بِجَانُبِهِا بِنُوداً تَشْيِر ۗ إِلَى مبادئ حقوق الإنسان. وفي هذا الموقف معطياتٌ كثيرة غابت عن ذهن ماكرون، وهو يتحدّث في خطابه عن أزمة الإسلام. ستحضرت أيضاً، وبصورة خاطفة، فقرة قوية جداً للمفكر التونسي، هشام جعيط، وردت في نهاية أحد فصول مصنفه «الشخصية العربية والمصير الإسلامي» (1974)، يوضح فيها تَنوُّع صور الحضِور

الإسلامي في التاريخ، وصوراً من شُخصية نبي الإسلام في الثقافة العربية.. بذكر جعيظً أنه عندماً كان مقيماً في باريس، لإعداد أطروحته الجامعية عنّ مدينة الكوفة، توقف في الليل بعد أن أعياه البحث، وفتح شياكً نافذته وكان الجو بارداً، فانتبه إلى أن الثلج قد يغطّي المساحة التي أمام نافذته بالبياض، فتذكّر صورة النبي العربي وأدواره في نشر رسالة الإسلام، تحدّث عنه بكثير منّ التقدير والإعجاب التاريخيين، على الرغم من أن جوانب عديدة من كتاب جعبط تتوخّى الدعوة إلى تجديد قيم الإسلام وتطويرها، ومحاولة ملاءمتها مع مكاسب عصرنا ومتغيراته.. استحضرت كل ما سبق، وأنا أتابع خطاب ماكرون،

وأدركت المسافات الكبيرة بين مواقف من

## هك يقتلنا العليار الذهبي؟

### محمود الوهب

منذ اجتياح وباء كورونا دول العالم، والمتحضرة منها على وجه الخصوص، والحديث عن الجائحة يزداد ويتشعب بين مصدِّق ومكذُب ومتكهن.. وأخذ سباق شركات الأدوية الكبرى في إنتاج اللقاح ليبدأ المحللون بالقول إن وراء كورونا غابات اقتصادية ومعارك حامية، وإن «ما بعد كورونا ليس كقبله». وبالفعل، أخذت اقتصادات بلدان كثيرة تتراجع حرًاء التقيد يقواعد الوقاية من الفيروس وإغلاق معامل ومشاغل كثيرة في دول كثيرة. وقدرت خسائر الاقتصادات الكبرى بمليارات الدولارات! وفي الولايات المتحدة الأميركية، وضع الساسة وباء كورونا في معادلة «الإنسان أم الاقتصاد؟». واستغلَّ بعضهم ذلك في صراعاتهم ضمن الدولة الواحدة، وفيما بينها وبين الدول الأخرى، انتخابات رؤساء الدول

سربان محموعة فبديوهات عبر نبيكات التواصل لأطياء متخصصين بعلم الفيروس، وعرفوا عن أنفسهم، ومهنتهم، ومطالعاتهم في هذا المبدان منهم أميركان وإسبان وإيطاليون، ومن قوميات أخرى، وعبَّر بعضهم عن رأيه، على نحو فردى خاص، بينما أقَّام آخرون احتماعات ومحاضرات، شاركت فيها جموع من الناس تعي وتـدرك.. وأشيار كثيرون إلى مبالغاتِ تجرى لدى الحديث عن الفيروس، وأنه ليس كذلك، اذ لا يعدو غيره من الفيروسات التي شهدتها البشرية، وتغلبت عليها.. وذكَّر أن عدد الفَير وسيات المكتشفة يصل إلى 32 مليوناً، وطمأنوا المتلقين، إذ يمكن للوقاية المتقنة وحدها أن تبعد خطر الوباء، وأن غاياتٍ أخرى خلف ما يحصل من مبالغاتٍ وتهويل، وربطوا ذلك بالمؤامرة الكونية التي تقودها محافل الأثرياء في العالم، والغابة تخفيض عدد سكار الكرة الأرضية التى باتت تشكل عبئأ على الحياة، وعلى أكثر سكانها ثراءً، وغنى، وتسلطاً في الوقت نفسه.. وزاد ى الطين بلة أن الصينيين نشروا خبراً عن توصُّل خبراء متخصصين في مركز الطب التناسلي في مستشفى تونغجى في مُدينة ووهأُن الصينية إلى استنتاجً

ولكن أخطر ما حصل في أزمة كورونا مئات ألاف من عمليات التعقيم التي كانت طوعيةً في الظاهر، غير أنها قسرية، إذ جرت عنوة في واقع الحال. كما يذكّر تفّشى وباء كورونا بنظريا «المليار الذهبي» آلتي أخذ تداولها يجرى منذ أواخر القّرن العشرين، وتقولُ هذه النظرية العنصرية أيضاً إن موارد الأرض لا تستطيع تلبية سوى حاجات مليار نسمة من البشر، ليعيشوا بمستوى دخل يوازي ما هو عليه الحال في الدول الغنية. وبالتالي، فإن نمط الاستُهلاك المفرط،

و. والرفاهية العالية التي يتمتع بها سكان الُّدُولِ الْغَنية، لا يمكنَّ توفيرَهما لباقي سكان العالم بسبب محدودية الموارد على كوكب الأرض. وثمّة تصريحات كثيرة تشير إلى كوارث فناء كثيرة تهدّد وجود الملايين من البشر. وجديدها ما قاله بيل غيتس (مبرمج أميركي وصاحب شركة مايكروسفت)، في مؤتمر ميونيخ 2017 للأمن، «على البشرية أن تستعد لوباء». ما بهمنا من كل ما تقدَّم هو أبن نحن العرب من هذا العالم الذي ترداد الهوة بيننا وبينه اتساعاً.. والغريب أنناً، أو بعضناً على الأقل، راض عن نفسه تماماً. بل لعلُّه يعادي البلِّدان المتحضرة ومنجزاتها، ويشكُّل هؤلاء الراضون/ المعادون وجهاً آخر للحاكم المستبد الأكثر رضى، إذ هو يتمتع بمباهج الحضارة، ومفرداتها من دون

فيد بأن «فيروس كورونا الجديد يمكن

نظرياً أن يلحق أضرارا بقدرة الرجال على الإنجاب». وثمّة من تحدّث عن زرع شريحة تحت جلد الإنسان، لتوجيهه الد متد تىقى والتحكّم بمصيره، وحذّر من خطورة ذلك. كل ما جرى ويجري يأخذ إلى نظرية شعوب المنطقة مالتوس السكانية (توماس روبرت مالتوس 1766- 1834)، وهو باحث سكاني واقتصادي وسياسي إنكليزي. قال بضرورة العمل للحدّ من النمو السكاني الذي لا يتوافق مع التنمية الغذائية. وقد اعتُمدت النظرية فترة طويلة من الاقتصاديين في العالم. و«أدّت إلى كوارث إنسانية،إذ اتُخذَّت مبررًا للإبادة الجماعية لشعوب كثيرة، وأجبر أبناء بعض العرقياتُ المضطهدة، كالسود والهنود

خاضعة لهذا التهميش الذرب يمارسه العليار الذهبي، لتقدمه العلمات في أميركا على إجراء التعقيم القسري»، والتكنولوحى؟ ويَقولُ الان تشيسُ (موسيقي ومؤرشفُ أميركي) في كتابه «تركة مالتوس» إن 63678 ألف شخص قد جرى تعقيمهم الولاَّنات المتحدَّة الأميرِّكية. وجرت هناك

حتى المحاولة فقد تُفقده كرسي الحكم فالنقلة الحضاربة المتصوَّرةً، تعني، فيما تعنيه، التنمية الشاملة التي تشترط تحرير عقل المواطن وتفتيحه من خلال مساهمته في عملية بناء الدولة التي لا بد من أن تقوم على أساس من حرية الفرد، ووفق مبادئ الديمقراطية التى بدونها لا يمكن قيام مؤسسات للدولة والارتقاء بالمواطن، والكشف عن امكاناته، اظهاراً لمكامن ابداعه! فالعلاقة بين الديمقراطية وبناء مؤسسات الدولة والتنمية بشقيها، الاقتصادي والبشري، علاقة حدلية إنجابية. وعوداً على بدء تتالى الأسئلة! فاذا كانت

أمراضاً تساعد الفيروس على الفتك في الحسم، وتسبب النظريات العنصرية بقتل مئات الألوف، وتعقيم مثلهم، فإن البلاد العربية التي هبّت فيها انتفاضات شعبية، هدفها مقاربة لأبجديات لحضارة، قد جوبهت بردود وحشيةٍ بفعل الديكتاتوريات أولاً، وبمساعدة بعض العرب الذين ما إن سمعوا كلمة حرية أو ديمقراطية حتى أخذت كراسى حكمهم بالاهتزاز، ففقدوا توازنهم، مآ دفعهم إلى زهق أرواح اثنين إلى ثلاثة ملایین کائن بشری، وتدمیر اقتصادات، وبنى تحتية، وتشريد أكثر من عشرة إلى خمسة عشر مليون إنسان من العراق وسورية واليمن وليبيا، وحتى لبنان، كثيرون من هؤلاء يملكون شهادات عالية وخبرات متعدّدة...! ولم يكتفوا بذلك، بل قاموا على أنقاض ذلك كله إلى إسرائيل العنصرية، ممثلة ذلك المليار الذهبي وشريكته، مقدّمين أوراق اعتمادهم وأموالهم وذلهم تحت ما يسمّى التطبيع. السؤال الأهم: إلى متى تبقى شعوب هذه المنطقة خاضعة لهذا التهميش الذي يمارسه المليار الذهبي، بتقدمه العلمي والتكنولوجي، وباعتماده على الاستبداد لسياسي وغسكره وممتلكاته، وعلى عقلية التَّخلف والتطرف المتولدة عن سياسات التجهيل التي يتبعها؟ أم إن الانتفاضات التي عرفت بالربيع العربي ماضية نحو غاياتها، وما هذه الدماء

التي تزهق إلا عرابين فداء لنهضة قادمة، ولأجّل كلمة مقدّسة اسمها الحرية؟

ويبقى الجيش متفرّغاً لمهامه الأساسية في حمّاية البلاد، لا حماية الرئيس الذي قد يذهب بفارق أصوات قليلة. سيكون صعباً على العالم احتمال ترامب أربع سنوات أخرى، وعلى العرب بخاصة سيكون أكثر صعوبة. سيحتفل به الطغاة ونتنياهو، وسيواصل الضغوط دعماً لمسار التطبيع.. أما المواطن الأميركي فسيكون قد اختار التعايش مع ترامب، ومع كورونا، في أن واحد، ولم يفكر بنا ابتداء. سُلطةُ كورونا

محاولة نقلها إلى بلاده، فهو يخشى

### الاضطرابات التي تسببها الأخيرة على غير صعيد. في هذا السياق، شهدت مدن أوروبية احتجاجات شعبية، رفضا لتدابير احترازية جديدة اتخذتها الحكومات، للحد من تزايد تفشِّي الوباء، بعد أن أصبحت الأنظمة الصحية غير قادرة على مواجهة الارتفاع المهول فَّى أعداد المصابين بالعدوى، فضلا عن ارتفاع التكاليف الأجتماعية والسياسية والأمنية للجائحة. وإذا كانت هذه التدابير تعود، في جانب رئيس منها، إلى مخاوف هذه الحكومات من انهيار النظام العام، فذلك لا يمنع من القول إن ◊الدولة العميقة ‹› تسابق الزمن في غير بلد، ليس فقط من أجل تطويق الفيروس، بل، أيضا، لتسخير ما توفره الجائحة من موارد مختلفة في إعادة جدولة الأولويات ذات الصلة بالتوازنات الاجتماعية والسياسية الكبرى. ومن ذلك توظيف الإرباك الحاصل في الإيقاع العام للحياة اليومية لملايين الناس، لتمرير قراراتِ سلطويةٍ، يُفترض أن تكون مثار نقاش وفق ما تقتضيه الديمقراطية الغربية. يتنامي التذمر الشعبي في أوروبا من إدارة الحكومات تناقضات الجائحة، خصوصا أن الأمر يتعلق بمجتمعات كورونا قد تستيت بموت ما لا يقل عن يُعدُّ فيها احترام الحقوق والحريات ‹›خطا أحمر››. ولا يرتبط ذلك، فقط، بحزمةً مليون إنسان في العالم، يعاني معظمهم التشريعات التي تؤطر هذه الحقوق والحريات، بقدر ما يرتبط، أيضا، بنمط حياة بات حزءا من الهوية الثقافية والحضارية لهذه المجتمعات. ولعل ذلك ما يفسّر رفض العودة إلى فرض تدابير مشدّدة لمواجهة الموجة الثانية من الوباء، في أفق إيجاد توازن، يكاد يكون مستحيلا، بين السيطرة على الوباء وإنعاش الاقتصاد المتضرّر بسببً تبعات فترة الحجر الصحى. وقد أحدث دخول وسائل التواصل الاجتماعي على الخط رأبا عاما موازيا ومزعجا للحكومات، فيما تتخذه من تدابير لمواجهة كورونا، فعلى الرغم من أن هذه التدابير تحكمها اعتباراتٌ صحية، إلا أن تنزيلها يكون من خلال قراراتِ سياسيةٍ وقانونيةٍ لا تتخلص، بسهولة، من خلفيتها السلطوية. وبعيداً عمًا يتردد بشأن شبكات الجيل الخامس، وتسييس اللقاح المرتقب، وغير ذلك مما يصبّ في نظرية المؤامرة، إلا أن الانقسام المتنامي الذي تشهده المجتمعات

محمد أحمد شُس

الأوروبية يبدو وثيق الصلة بأزمة الخطابين، السياسي والحزبي، وتراجع أداء الأحزاب التقليدية ومؤسسات الوساطة والتأطير الأخرى، وعجزها عن التصدي للمشكلات التي تواجهها معظم هذه المجتمعات، سيما التي تتعلق باندماج المهاجرين والأقليات، وتركها المجال فارغأ أمام جماعات اليمين الشعبوي المتطرّف المتطلعة لتسويق خطابها العنصري. وهكذا تجد النخب التقليدية في أوروباً نفسها في وضع لا تحسد عليه بسبب عجَّزها عن إنتاج خطاب تقنع به فئأت اجتماعية واسعةً، بدأ صُّبرها ينفد أمام كورونا. وقد كان لافتا كيف تحولت الاحتجاجات الشعبية التي شهدتها مدنُ إسبانيةُ نهاية الأسبوع الماضي، رفضا للإجراءات المشدّدة التي اتذّنتها الدكومة لمواجهة الموجة الثانية من الوباء، إلى مناسبةٍ تبادلت فيها الأحزاب التهمَ بشأن المسؤولية عن أعمال العنف التي رافقت هذه الاحتجاجات، الأمر الذي اعتبره قطاع واسع من الرأي العام الإسباني أنتكاسةً أخرى للطبقة السياسية، ودليلًا على افتقادها رؤيةً ناجعة للتعاطي مع مستَّجدًات الجائحة. كشفت الجائحة تآكل المنظومة الفكرية والإيديولوجية التقليديَّةً التَّى تغذَّت عليها أحزاب اليمين واليسار على حد سواء، وتحوَّلَ ميزان القوى إلى وسائل التواصل الاجتماعي التي يمكن المجازفة بالقول إنها صارت مؤسسة اجتماعية قائمة بذاتها، تؤطِّر الرأي العام وتصوغ قناعاته وتوجهاته، وتناهض المؤسسات التقليدية، من خلال تعبئة شعبية مضادة تتصدى للسلطة الجديدة التي أضحت كورونا عنوانا رئيسا لها. ولعل هذا ما يضاعف الصعوبات التي تواجهها الدُّول والحكومات والنخب، المهيمنة على موارد السلطة والثروة، في الحفاظ على مصالحها، أمام تزايد التوترات " ... التي تغذّيها الجائحة، وتهدد الاستقرار الاجتماعي والسياسي.

## غير الطبيعي في التطبيع مع إسرائيك

من يقرأ إعلان اتفاق إبراهام، الموقع بين إسرائيل والإمارات برعاية أميركية، الصادر أخيرا، يخيّل إليه أنه إعلان منبثق من محلس ملائكة، برْجم الشيطان بحجارة التفاهم والكرامة والحرية والحوار والتعاون والودّ والأمل والعلم والفن والطب والتجارة والسلام والأمن والازدهار. والأهم من كل تلك الأحجار «مستقبل أفضل لجميع الأطفال». وكلها عباراتُ ومفرداتُ ضبِّ بها الاتفاق، يرحب به موقعوه، بـ «حفاوة». ويستنتجون منه بداهة «إقامة دبلوماسية بين إسرائيل وجيرانها في المنطقة بموجب هذا الاتفاق». إنها اتفاقية تطبيع مع إسرائيل. أي جعلها عادية، إدراجها في المألوف في العلاقات بين الدول. ثمّة جوانب تبدو «طبيعية»، في ظاهر الأمر، فيما هي شحيحة، ضعيفة الحَجّة. يُراد منها إكساب المبادرة وجاهة تفتقدها. فهى أولاً تُخرج العلاقة بين الطرفين، العربي والعبري، من حيز السرّي إلى العلني، فالسرِّية لا تليقَ إلا بالعلاقات غَيرِ الشرعيةُ، أو غير القانونية. تفيد ربما في بدايتها، ولكن تثميرها مع الوقت يحتاج إلَّى العلنية. مثل العلاقة الممنوعة بين عشاق عامضين، لا تستوي، في النهاية، إلا بالزواج. مسار يكاد يكون «إنسانيا»، من السرّي إلى العلني. إنه اتجاه واحد. إذ يصعب القيام بالعكس، أي تحويل العلني إلى سرّي وهذه نقطة منطقية، يُثنى بفضلها على أصحاب المبادرة وحسن

توقيتهم لإنهاء السَرّية هذه. تطبيع «منطقي» ثانياً. انظر إليها من زاوية الأجيال. سوف تتحقّق بنفسك. الجيل الإماراتي المؤسِّس، بقيادة الشيخ زايد بن سلطان كان معروفاً بدعمه الفلسطينيين، مرتاحاً من حاجة الأميركيين إليه وإلى نظرائه. أما ولده محمد بن زايد، فهو من جيل كبُر على فكرة أخرى، على ضرورة كسب دعم البيت الأبيض ورئيسه، وإبقاء الانخراط الأميركي في الشرق الأوسط، بعدما صار مشروطاً. مُوتُ الحقوق الفلسطينية في وجدانهم ليس ناجماً عن فراغ. قد تكون التّوازنات الجديدة، أو «روح العصر». وقد

تراجعت خلالها هذه الحقوق إلى أدنى درجاتها. حتى في خطاب «داعميهم» من الدول. قد يكون الضَّجر من تكرار العبارات نفسها، على مسألةٍ لم يشاركوا فيها إلا بدفع الأموال. أو أن العداوة لم توصم حياتهم بالقتل والاحتلال والطرد من الأرض، فكان . «طبيعياً » ان تُقام العلاقات بين دول لم يسقط مواطنوها ضحية بعضهم بعضا.

«طبيعي» ثالثاً، أن يُراد من اتفاق أبراهام إنقاذ ثلاَّتْهُ رِجِال، أو ثلاثة قادة لدول: الأول، الأميركي، دونالد ترامب، المهدَّد بخسارة كرسيه قي البيت الأبيض، والباحث عن إنجازات في آخر لحظة لمسابقة غريمه حو بايدن في اتتخاباتٍ انتهت أول من أمس (3 نوفمبر/ تشرين الثاني)، وقد لا تُحسم نتائجها باكراً. وإن حُسمت لصالح هذا الغريم، فسوف تكتله الاتفاقية، على الأقل بعلاقته مع إسرائيل. علماً أن الحزب الديمقراطي الذي يُمثله جو بايدن ليس أقل حبّاً لإسرائيل من الحزب الجمهوري. علماً أيضاً أن يهود إسرائيل يختلفون عن يهود أميركا حول العلاقة مع ترامب: الأولون يؤيدونه، والآخرون بؤيدون منافسه الاتفاق بنقذ أبضا نتانياهو، وقد سُلُط عليه سيف التحقيق القضائي في فضيحة فساد. حاول عبر ثلاث دورات انتخابية متقاربة حماية نفسه منها، ولكنه أخفق يتأمن الأكثرية. وها هو الآن برضع غالبية الإسرائيليين، واليمين الأكثر تطرَّفاً منه، ومعهم ريما البسار «المعتدل». ثم إنقاذ الثالث: الحاكم الإماراتي، وخلفه البحريني، من تهديدين: اقتصادي، تنتيجة الوباء وغيره من العوامل، واستراتيجي، نتيجة تراكم العدوانية الإيرانية في الخليج، وفي غيره من بقع أمة العرب. وأيضاً، نتيجة احتدام الصراع مع تركيا في ليبيا وسورية. وكان جديد تعبيراته تهديد وزير الدفاع التركي، خلوصي أكار، الإمارات، بأن تركياً ستحاسبها «في

المكان والزمان المناسِبين». بعد الحوانب المغشوشة د «طبيعيتها»، ثمة أخرى غير «طبيعية» حقاً في اتفاق أبراهام هذا: الأول، تلك الخفَّة المتناهِّية التي تعاملُ معها أصحابه، خارج النص الإبراهيمي، الملائكي، مع الفلسطينيين. كانت النَّقطَّة

الغائبة عنه مثار سؤال، يتنقل بين الكلمات، وإنْ حجبته، قوامها: ماذاً عن اتفاق سابق، «صفقة القرن»، الذي يعِد إسرائيل، من ضمن ما بعدها به، بالشماح لها في استكمال ضمّها أراضى الضفة الغربية. الإماراتي بن زايد رماها في طريقه: قال إنّ ثمن الاتفاقية موافقة إسرائيل على «وقف ضُمّ» أجزاء كبيرة من الضفة الغربية. فيما الثاني نتانياهو قال: كلا، لم يلغ أبداً هذا البند، وإنّ ما يجري «مجرّد تجميد» الضمّ. .. كذلك ترامب، ومعه صهره جاريد كوشنير، عرّاب «صفقة القرن»: ما سيحصل مجرّد «تجميد لخطة الضم».

غير الطبيعي أيضاً: إنَّ الذين سعواً إلى هذه الخطوة لم يرفعوا السلاح يوماً بوجه بعضهم بعضاً. لم يتقاتلوا ليأتوا اليوم ويحتفلوا بالتطبيع. قبلهم جرت اتفاقات سلام بين دول حاربت إسرائيل: مصر (1977) والأردن (1994) ومنظمة التحرير الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو (1993) بين إسحق رابين وياسر عرفات برعاية الأميركي بيل كلينتون. وقد عادت صحراء سيناء إلى مصر بموجب اتفاق السلام مع إسرائيل، وحصلت منظمة التحرير على جزءمن الضفة الغربية وغزة، وسلطة بمؤسسات، وإن مبتورة. فيما الأردن نال إشرافًا إداريا وتُسهدلات، خفّفت عنه انسحاب إسرائيل لغير صالح تاجه. وكان لاتفاق السلام مع إسرائيل معنى السلام مقابل الأرض. أماً اتفاق أبراهام فيكاد يخلو من مضمونه بعد شوْكة «تأجيل» أو «تجميد» أو «إلغاء» ضم الأراضى القُلسطينية. انتكاسة بالنسبة لاتفاقعة السلام السابقة. «سلام مقابل سلام»: بتراجع فاضح عن أراض أعيدت إلى الفلسطينيين بمُوجِب اتفاقية سلام سابقة. وفي أقل من ذلك حقوقاً: ينسف أبضاً أصحاب

الاتفَّاق العرب المشروع الذي تقدَّم به نظراؤهم من الملوك والرؤساء العرب منذ عقد ونصف (قمة 2002)، وقد وافقوا على مبادرة ولى العهد السعودي، في حينه، عبدالله بن عبد العزيز، أي الأرضُ مقابل السلام، وقد سميت «المبادرة العربية للسلام». توافقوا عليها في قمتهم تلك في بيروت. وهي تقترح سلاماً وتطبيعاً مع إسرائيل مقابل إتفاق على إقامة

التسمية تستحضر المناخ التوراتي، المنبع الأوك لقصص النبي إبراهيم. فتسجَّل بذلك أسبقية الديانة الىھودىة على المسيحية والإسلامية

طرف دینی بقیادة إسرائيك إقليمياً، وأميركا دولياً، ينشط عرث تحت قته. وطرف دینی آخر، ينافسه، ويناهضه، تركب إيراني

دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع عاصمتها ألقدس الشرقية. اليوم الجميع صفق لاتفاق أبراهام، بحماسة ظاهرية أو باطنية. أسرعهم، أكثرهم صراحة، كان السودان، المشهور بقمة اللاءات الثلاث (1969) «لا سلام ولا اعتراف ولا مفاوضات مع إسرائيل»، وقد انضم بسلاسة إلى «التطبيع» بعد حين من اتفاق أسراهام. باستثناء الفلسطينيين الذين تستغل قضيتهم هنا أنضاً، ولكن بطريقةٍ معكوسة عن السابق،

والتى يشعر الفلسطينيون بأنها مثل خنجر طُعنوا به من الخلف ما عزَّز استمرار مصادرة قضيتهم على يد إيران الملالي، ودخول تركيا فى ناديها، وإنْ متأخرة. والاثنتان «استنكرتا» الآتفاقية، وسوف تعملان لاحقاً على تعبئة العالم «الإسلامي» ضدها. حسب ما تكسبه سياسياً و «شعبياً »وديبلوماسياً الآن، تسمية الاتّفاقية باسم مؤسس الأديان الثلاثة، النبي إبراهيم، لم تسم «اتفاق التوحيديين» (موحدق الله)، ولا «اتفاق أهل الكتاب». والاثنتان مُعتمدتان في الأدبيات الإسلامية والعربية للأديان الثلاثة. قيل إن وراء التسمية دونالد ترامب نفسه الذي أراد ربط اسمه بأبراهام لتنكولن، موحد أمتركا بعد حربها الأهلية في أواسط القرن التاسع عشر. أي أن يترافق اسمة مع كبار رجالات تاريخ أميركا. ولكن، إسرائيل ربما هي أول من اقترحته. أو على الأقل وجدته كنزاً رمزياً ثميناً، فالتسمية تستحضر المناخ التوراتي، المنبع الأول لقصص النبي إبراهيم. فتسحَّلَ بذلك أسبقية الديانة اليهودية على المسحدة والإسلامية. تريد أن تقول إن «الصراع» السابق كان بين الأديان الثلاثة هذه. وإنه الآن ينتهي هذا الصراع بقيادة الأيقونة الدينية النبي إبراهيم. النبي الذي كان اليهود أولَّ من صناغًوا قصصه، وجارَتهم بعد ذلك الأديان المسيحية والإسلامية.

شىد «صراع الحضارات» يختفي هكذا، ليخلى السَّاحة لالتَّقاء بين الأدبّان الثُّلاثة، التَّقاءُ واسع وضيق في أن. واسع لأنه مفتوح على جنسيات وبلدان تتجاوز أصحاب الإتفاقية. وضيق، لأنه يلغي الحدود الوطنية والقومية لصالح هوياتِ أصغر منها، أي الطائفية والعشائرية، فتكون الحرب، إذا حصلت، بين طُرفين ديّتيين: طُرف دينني بقيادة إسرائيل إقليمياً، وأميركا دولياً، ينشط عربٌ تحت قبّته. وطرف ديني آخر، ينافسه، ويناهضه، تركى إيراني، تحت قبّته مسلمون، ومعهم عرب. هكذا، تودع الدولة والقومية لصالح ضياً من الإنتماءات. وتجري الحرب بينهم بمرتزقة عرب، يختلف نشاطهم وكيانهم ووجوهم بحسب اختلاف طبيعة المعارك الجارية بالقرب منهم أو أبعد قليلاً.

ليس فقط في الدرك الأخير من كل شيء، بل

صارت مخجَّلةً مخزيةً بقدر ما هي قاصرة

وعاجزة وبارعة في توليد العنف والثأرية،

وانتشار الفساد يدفع عامة الشعب إلى

مهاوي الفقر والعجز عن تأمين مقتضيات

العيش، وبداية لشرخ يؤدي إلى انهيار

الدولة، كما قال، والفساد كان مقدّمة كبيرة

وواسعة لما آلت إليه الأمور، لكنه استشرى

أكثر في ظل الحرب، ففقد الناس البصر

والبصيرة، وزاد في هذا الفقدان التضليل

الذي مورس بحرقيةٍ عاليةٍ، وكان منَّذ

البداية أحد أهم مرتكزات الحرب وأدواتها.

و«عندما تنهار الدول يكثر المنجمون

والأفاكون والمتفيقهون والانتهازيون، وتعمّ

الإشاعة وتطول المناظرات وتقصر البصيرة

في هل يمكن الحديث عن دولة في سورية اليوم؟

يبدو الأمر فائق الصعوبة، وهو إشكالية

ليس من السهل الخوض فيها، فكل المفاهيم

تبدو أنها محققة بطريقةٍ لا نمطية أو

موصوفة. ما زالت هذاك مؤسسات دولة في

مناطق النظام، ولو أنها لا تعمل بالطريقة

المرجوَّة، أو لا تؤدي الغرض المرجو منها

يمكن القول إن هناك ضعف سلطة الحكومة

وعجزها عن بسط سيطرتها على جميع

أقاليمها، ولم يعد خافياً نزوع بعض

الجماعات في أماكن سيطرتها إلى المطالبة

بالانفصال عن الدولة، وعزمها على إقامة

كيان سياسي مستقل. وبعد عشر سنوات

من الحرب في سورية، لا بد من انهيارات

اقتصادية، فطييعة الحروب من هذا النوع

أنها مكلفة ومعظم الموارد تصرف على

العمليات القتالية، وهي حروبٌ استنزافيةٌ

لا يمكن معها إعادة إعمار المدن المهدمة، ولا

البنية التحتية المتهاوية والمدمرة، كذلك لا

مكن إعادة عمران المجتمع.

ويتشوّش الفكر».

بأبسط شكل له.

(كاتبة لبنانية)

# «صور من كلفة الحياة» في سورية: أين العجب؟

## سوست جميك حست

عنوان خبر مصوّر على موقع روسيا اليوم (RT) يعرض بالفيديو شجاراً بسبب خلاف على مقعد في إحدى سيارات النقل ضمن المدن، وتدعى «سرفيس» في سورية، حيث يعتدى شخص بلباس مموَّه، كلباس عناصر الجيوش في بلدان كثيرة، على رجل، ويوسعه ضرباً، لأنه صعد قبله واحتلٌ مقعداً في الحافلة، بينما زوجته ترجو المعتدي أنَّ يرأف به، لأنه مريض، تصرخ وتكرر: زوجي مريض.

صورة أخرى لرجل مسنّ، في رأسه جرح عميق، والدم يغطى جانب رأسه ووجهه. الصورة جرى تداولها كثيراً على مواقع التواصل وفي بعض الصحف الرجل تعرض للعنف من شخص أمام أحد الأفران، إذ دفعه هذا الأخير وأوقعه أرضاً، وتابع ليتجاوز الدور في الطابور، ويأخذ خبزه، ثم يعود ويركب سيارته المركونة حانباً، من دوٰن أنْ يحرُّك فيه ساكناً أنْ رجلاً ربما أكبر من أبيه قد أوقعه ارضاً، وتشكل دماؤه بركة تحته، ومن بين الواقفين في طابور الرغيف

صارت هذه المشاهد عنوان الدوميات السورية في ظل تردّي الأوضاع المعيشية إلى حدّ التّهديد بلقمّة الخبز، ولا يُخلُّو الأمر من مشاهد السخرية المرّة، إذ تعرضُ بعض المقاطع المصورة كيف يقوم الواقفون في الطابور، أو المزدحمون، في انتظار الحصول على أرغفتهم، وهم يصفقون ويصفرون، ويعلو الهرج كلما غادر شخص حاملاً حصته بين يديه، مثلما لو أنه حصل على أكسير الحياة. من الصعب تفسير هذه الظاهرة، فهل هي ابتهاج يدلُّ على التعاطف والتراحم، وأنه ما زال لدى منظومة القيم رمق لم تخنقه الحرب؟ أم يمكن فهمها بأن مغادرة أحدهم تعنى اقترابهم خطوة من الظفر، والفوز بحصتهم من رغيفٍ معجون بالذل وأنتهاك الكرامة، ومعه فوز بما يشبه الحياة؟ أم يصحّ بها القول: كالطير يرقص مذبوحاً من الألم؟ فتراهم يقابلون الحياة بعبثيةٍ فائقة، كأنهم يعيشون في برزخ يعتصر أرواحهم، ويسلبهم القدرة على

التفكير في كارثتهم، فيضحكون ذاهلين؟ في كل الأحوال، هذه اليوميات التي صارت العنوان الأساس لحيآة السوريين برهان دامغ على مدى الخراب وعمق الصدوع وحجم التشظى الذي تمادي على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية



يزداد إشهار الأنشطة الاقتصادية الحديدة والمشاريع التي تقام، والمنشأت التي تفتح، مثلما لو أن هناك جزيرة أخرى في الأرض السورية، معزولة عمّا حولها من خرّاب وفقر وجوع وحرمان وأمراض. ولهذه المتاجر و. المطاعم والأندية وغيرها زبوناتها في جزء منها. وفي جزء آخر، لا يمكن تبرئتها من محاولات فجّه لغسل أموال حرام، جمعها أصحابها من دم الناس وأرواحهم وأمنهم وطعامهم وصحتهم وعيشهم، فمن البديهي التساؤل والبحث عن الشريحة المستهدفَّة من هذه المشاريع، في وقتِ صار فيه الحصول على أساسيات الحياة التي تقلصت إلى الرغيف وكوب الشاي وصحن الفول (أو المسبّحة)، من أصعب المهمات التي يشقى السوري في سبيلها. لكن العبثية التي يتعامل معها السوريون في أزمتهم المتطَّاولة المتفاقمة التي لا يلوح في الأفق حل لها وصلت إلى حدّ اللامبالاة بالموت، بعد أن خبروه بأشكال لا تُحصى، والموت الحالى قد يشتركون فيه مع باقى البشر، بعدما خصّهم قدرُهم بأنواع لم يشهدها التاريخ الحديث. الموت بسبب الأزمة العالمية التى فرضها مرض كوفيد - 19، وجعل العالم يتخبط في مشكلاته، وكلما حاول فتح باب للحل أغلقت في وجهه أبواب أخرى.

والسياسية أيضاً. فمقابل هذه المشاهد

ولن يكون السوريون في منجاةٍ، حتى لو قابلوا هذه الجائحة ومخلفاتها التي تزلزل العالم وتصيبهم هزّاتها الارتدادية، بعبثيةٍ حارقة، بل ستُضاف عوامل أخرى فوق أسباب ضنك عيشهم، وسيزداد الانهيار في ما بقي من أركان حياتهم ولم ينهر بعُّد، وأهمُّها انهيار العمران الأجتمَّاعي

هل من جديد في ما يمرّ على السوريين بعد سنوات حرب لم ينطفئ فتيلها بعد؟ قبل ستة قرون، قُال المُفكر الاجتماعي ابن خلدون: من أهم شروط العمران سدّ حاجة العيش والأمن (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف). وهذا ما يفسّر البون بينهم وبين العمران، عمران حياتهم ومجتمعهم. وقال أيضاً: الشعوب المقهورة تسوء أخلاقها. لا، ليس من جديد، فطبائع المحتمعات تتشابه، والتاريخ الذي يراكمه البشر بكرر نفسه من دون موعظةٍ، يستفيدون منها إلَّا في ما ندر. وما هذا الواقع الذي انحدرت إليه حياة الناس في سورية إلّا نموذج لصورة نمطية، حكى عنها ابن خلدون في مقدمته، وأحاطها من كل الجوانب، منها ما يمكن اعتبارها حكمة تُروّس بها الصفحات، كي لا ينسى الناس تجارب أجدادهم «الناس في السكينة سواء، فإن حاءت المحن تباينوا». أمّا تباين

السوريين، فقد صفعنا منذ بواكير انتفاضة

الشعب، وما زال التباين يـزداد اتساعاً، حتى لم تسلم منه منظومة القيم والأخلاق، وازدادت العصبيات والشروخ البينية، فصدمتنا الهوة الواسعة بيننا وبين مفهوم المواطنة، وهي تتعمق اطراداً مع تراجع حودة الحياة «إن الرخاء والازدهار والأمن تساهم في الحد من العصبية، بينما الحروب والخوف والفقر والبطالة عزّزت من العصبية»، وزاد عليها أيضاً قوله بتسخير هذه النزعة العصيبة «الصراعات السياسية لا بد لها من نزعة قبلية أو دينية، لكي يحفز قادتها أتباعهم على القتال والموت، فيتخيلون أنهم يموتون من أجلها». ولو أحصينا عدد من ماتوا في هذه الصراعات بدوافع إيديولوجية وعصبية، لعرفنا حجم ماضويتنا، وبعدنا عن العصر ومفاهيمه عن الدولة والمواطنة، وأن ما سمى مشروع نهضة يُقال عنه إنه أجهض، لم يكن أكثر من محاولاتِ غريرةِ تحبو فوق أشواك الماضي، فنزفت وماتت، وأن معظم نضالنا كان في محاربة طواحين هواء، لم نكسب من نزالها غير فقدان اليقين ونزف العمر، بينما كان النكوص يمشى بنا باتجاه قبيلياتنا المعوقة وهويات تجيد العنف والقتل والفتنة والتفرقة. حياة السوريين صارت،

حياة السورييت صارت، ليس فقط في الدرك الأخير من كك شيء، بك صارت مخحلة مخزية

لم يعد خافياً نزوع بعض الحماعات في أماكن سيطرتها إلى المطالبة بالانفصاك عنالدولة

لاً عجب في ما سلف، فجميعه صور من واقع وصفها ابن خلدون قبل ستة قرون، لكن العجب أن يأتى الخبر «صور من كلفةً الحياة في سورياً» في موقع «روسيا اليوم»، وكأن روسيا تكتشف لغزاً لم تعرفه البشرية في سورية، وكأنها لا تتحمّل ذرة من المسؤولية تجاه الشعب السوري ومآلات وطنه وحياته، بل وكأنه إنجاز حقوقي بتسليطها الضوء على هذه الحياة «المكلّفة» التي يبدو أنها كلفتها كثيراً كمشروع استقماري طويل الأمد. أنا السورية أشعر بالإهانة من هذا الخبر.

(كاتبة سورية في برلين)



تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير حسام كنفاني • مدير التحرير ارنست خوري ■ الصدير الفني |ميك منعم | سكرتير التحرير حكيم عنكر | السياسة جمانة فرحات الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة **نجوان درویش** ■ منوعات **لیال حداد** ■ الراب معن البياري • المجتمع يوسف حاج علي • الرباضة نبيك التليلي - تحقيقات محمد عزام - مراسلون نزار قنديك

المكاتب ■ المكتب الرئيس*ي، لندن* Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY Tel: 00442071480366 مكتب الدوحة الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ هاتف: 0097440190600

عکتب بیروت بيروت \_ الجميزة \_ شارع باستور \_ بناية west end 33 هاتف: 009611442047 - 009611567794 ■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk ■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions هاتف: +97440190635 حوال: +97450059977

■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads